تفسير إبن كثير

تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ

مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في رجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب منهم أحدا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت . وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ، ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق هذا . ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ، ينظرون ماذا أنزل االله بأصحاب الفيل من النقمة ، وجعل نفيل يقول :أين المفر ؟ والإله الطالب والأشرم المغلوب غير الغالبقال ابن إسحاق : وقال نفيل في ذلك أيضا :ألا حييت عنا يا ردينا نعمناكم مع الإصباح عيناردينة لو رأيت - ولا تريه لدى جنب المحصب - ما رأيناإذا لعذرتني وحمدت أمري ولم تأسي على ما فات بيناحمدت االله إذ أبصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينافكل القوم يسأل عن نفيل كأن علي للحبشان دينا !وذكر الواقدي بأسانيده أنهم لما تعبئوا لدخول الحرم وهيئوا الفيل ، جعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب [فيها] فإذا وجهوه إلى الحرم ربض وصاح . وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ، ليقهر الفيل على

دخول الحرم . وطال الفصل في ذلك . هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة ، منهم المطعم بن عدي وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومسعود [بن عمرو] الثقفي ، على حراء ينظرون إلى ما الحبشة يصنعون ، وماذا يلقون من أمر الفيل ، وهو العجب العجاب . فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله عليهم طيرا أبابيل ، أي قطعا قطعا صفرا دون الحمام ، وأرجلها حمر ، ومع كل طائر ثلاث أحجار ، وجاءت فحلقت عليهم ، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا .وقال محمد بن كعب : جاءوا بفيلين فأما محمود فربض ، وأما الآخر فشجع فحصب .وقال وهب بن منبه : كان معهم فيلة ، فأما محمود - وهو فيل الملك - فربض ، ليقتدي به بقية الفيلة ، وكان فيها فيل تشجع فحصب ، فهربت بقية الفيلة .وقال عطاء بن يسار ، وغيره : ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة ، بل منهم من هلك سريعا ، ومنهم من جعل يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون ، وكان أبرهة ممن يتساقط عضوا عضوا ، حتى مات ببلاد خثعم .قال ابن إسحاق : فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون على كل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع

صدره عن قلبه فيما يزعمون .وذكر مقاتل بن سليمان : أن قريشا أصابوا مالا جزيلا من أسلابهم ، وما كان معهم ، وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة .وقال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة : أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤي به مرائر الشجر الحرمل ، والحنظل والعشر ، ذلك العام .وهكذا روي عن عكرمة من طريق جيد .قال ابن إسحاق : فلما بعث االله محمدا صلى االله عليه وسلم كان فيما يعد به على قريش من نعمته عليهم وفضله ، ما رد عنهم من أمر الحبشة ، لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) [سورة قريش] أي : لئلا يغير شيئا من حالهم التي كانوا عليها ، لما أراد االله بهم من الخير لو قبلوه .قال ابن هشام : الأبابيل الجماعات ، ولم تتكلم العرب بواحدة . قال : وأما السجيل ، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب . قال : وذكر بعض المفسرين أنهما

كلمتان بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سنج وجل يعني بالسنج : الحجر ، والجل : الطين . يقول : الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين . قال : والعصف : ورق الزرع الذي لم يقضب ، واحدته عصفة . انتهى ما ذكره .وقد قال حماد بن سلمة : عن عاصم ، عن زر عن عبد االله - وأبو سلمة بن عبد الرحمن - : (طيرا أبابيل) قال : الفرق .وقال ابن عباس والضحاك : أبابيل يتبع بعضها بعضا . وقال الحسن البصري وقتادة : الأبابيل : الكثيرة . وقال مجاهد : أبابيل : شتى متتابعة مجتمعة . وقال ابن زيد : الأبابيل : المختلفة ، تأتي من هاهنا ، ومن هاهنا ، أتتهم من كل مكان .وقال الكسائي : سمعت [النحويين يقولون : أبول مثل العجول . قال : وقد سمعت] بعض النحويين يقول : واحد الأبابيل : إبيل .وقال ابن جرير : [حدثنا ابن المثنى] حدثني عبد الأعلى ، حدثني داود عن إسحاق بن عبد االله بن الحارث بن نوفل ; أنه قال في قوله : (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) هي : الأقاطيع ، كالإبل المؤبلة .وحدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس : (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) قال : لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكف كأكف الكلاب .وحدثنا يعقوب ، حدثنا

هشيم ، أخبرنا حصين عن عكرمة في قوله : (طيرا أبابيل) قال : كانت طيرا خضرا خرجت من البحر ، لها رءوس كرءوس السباع .وحدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير : (طيرا أبابيل) قال : هي طير سود بحرية ، في منقارها وأظافيرها الحجارة .وهذه أسانيد صحيحة .وقال سعيد بن جبير : كانت طيرا خضرا لها مناقير صفر ، تختلف عليهم .وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء : كانت الطير الأبابيل مثل التي يقال لها عنقاء مغرب . رواه عنهم ابن أبي حاتم .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد االله بن محمد بن أبي شيبة ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن عبيد بن عمير ، قال : لما أراد االله أن يهلك أصحاب الفيل ، بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر ، أمثال الخطاطيف . كل طير منها تحمل ثلاثة أحجار مجزعة : حجرين في رجليه وحجرا في منقاره . قال : فجاءت حتى صفت على رءوسهم ، ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها ، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ، ولا يقع على شيء من جسده إلا وخرج من الجانب الآخر . وبعث االله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعا .وقال السدي ، عن

عكرمة ، عن ابن عباس : (حجارة من سجيل) قال : طين في حجارة : " سنك - وكل

" وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته هاهنا .